من تراب الطريق (٤٣١)

وفاء نادر !(*)

على خلاف ما نصادفه أحيانا من جحود بعض من يتلقون ثمار ما نبذله من جهود مضنية فى المحاماة ، تلقيت من السيد صبحى أبو حمدة رسالة كريمة يعقب فيها على ما نشر بعمود ٤ يناير ٢٠١٠ تحت عنوان «نداء الواجب وعناية السماء» .. كتب الموكل الكريم يقول .. قرأت بإمعان شديد فى عمودك اليومى بجريدة المال الاثنين ٤ يناير ٢٠١٠ كيف أبت العناية الإلهية إلا أن تكافئك وتسعدك وتكلل نداءك لواجبك الإنسانى بالنجاح فى إطلاق سراح موكلك السجين نتيجة مرافعتك أمام المحكمة بالرغم مما كنت تعانى من «أوجاع القلب» .. وجع قلبك الحقيقى .. ووجع قلب السجين وأهله الذين استجاروا بك وعلّقوا آمالهم على حضورك للمحكمة لتدافع بما حباك الله من علم عميق بخبايا القانون ومهارة غريزية فى سرد تفاصيل دفاعك لإظهار الحق أمام الله سبحانه وتعالى أولا ، وأمام القضاة ليحكموا بالحق ثانيًا !!

لا أخفى عليه أنه منذ ذلك اليوم الذى قرأت فيه عمودك هذا ، انتابنى خوف وقلق شديدان ، وأخذت أدعو الله فى كل صلاة من الصلوات الخمس أن يبعد عنك شر المرض ووجع القلب .

وفى المقابل انتابنى شعور آخر بالرضا والأمان لأن قضيتى سترعاها عناية

(*) المال ١٣/ ٤/ ٢٠١٠ .

السماء من خلال صاحب الواجب الذى يلبى نداء الواجب حتى فى أخطر الظروف الصحية المحيطة به .

إنك لا تعرفنى وأنا لم أقابلك شخصيًا ، بناتى وابنى الأحباء قابلوك فى مكتبك ووكلوك فى شهر يونيه ٢٠٠٩ لنقض حكم جائر كنت أنا فيه الضحية ، ومنذ ذلك التاريخ عرفتك (عن بُعْد) حيث أصبحت مدمنًا على قراءة عمودك اليومى ـ من تراب الطريق ـ فى جريدة المال ، بل واشتركت فى هذه الجريدة لتصلنى فى الصباح الباكر كل يوم لأستمتع بقراءة أفكارك لأستشف من عمودك ما يساعدنى الله على فهمه من غزارة وعمق المواضيع الشيقة التى تطرقها وتعمل فيها تمحيصًا وتحليلًا وتفسيرًا بأسلوب ممتع وشيق وبليغ .

كتبت السطور السابقة تعليقًا على ما سردته فى عمودك فى جريدة المال يوم الاثنين ٤/ ١/ ٢٠١٠ .. ولا أدرى لماذا لم أرسله لك فى حينه .

وكان يوم الثلاثاء ٢/ ٣/ ٢٠١٠ هو يوم نظر طعن النقض فى قضيتى التى وكلتك بها (وتوكلت على الله تعالى قبل ذلك) لإنقاذى من دخول السجن بلا مبرر .

وصلت إلى دار القضاء العالى قبل الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم بصحبة زوجتى وابنتىَّ الاثنتين وابنى وحفيدى الأكبر ، وذلك لأسلِّم نفسى إلى السلطة كما تقضى إجراءات نقض الأحكام وإلا سقط حقنا فى قبول النقض .

كان أحد مساعديك النشطاء قد وصل فى ذلك الحين وتولى إجراءات تسليمى إلى السلطة حيث اقتادنى عدد من أفراد الشرطة إلى قاعة المحكمة

بضحبة المتهمين الثلاثة الآخرين فى نفس هذه القضية غير الرابع الذى كان فى محبسه .

لا أذيع سرًّا بأن خوفًا شديدًا تملكنى وأنا جالس فى الصف الأخير فى قاعة المحكمة ويحيط بى أفراد الشرطة .. حيث كنت أتحدث مع باقى المتهمين الثلاثة .. وتبادر لنا أنه فيما لو حدث ورفضت المحكمة نقض حكمنا أو تأجلت الجلسة لأى سبب لوقت لاحق ، فسيكون مصيرنا (لا سمح الله) اقتيادنا إلى السجن . هنا تدخل المحامون الحاضرون عن المتهمين الآخرين وأدخلوا بعض الاطمئنان إلى قلوبنا حين قالوا إنه بالرغم من قبول نيابة النقض لبعض أسباب الطعن بالنقض ، إلا أن قوة نقض «أستاذنا الكبير رجائى بيه عطيه «هى التى ستخلصك وبالتالى ستخلص موكلينا من قبضة أفراد الشرطة المحيطة بنا .

وفى تمام الساعة الثامنة وخمس وخمسين دقيقة حصل هرج ومرج فى قاعة المحكمة حيث دخلت من باب القاعة فتركنا المحامون بسرعة وتهللت وجوههم بالفرحة وهم يسلمون عليك ولسان حالهم يقول بأن «المُخلِّص «قد وصل والحمد لله ، وأخذك مساعدوك إلى حيث كنت أجلس مع باقى المتهمين لأسلم عليك .

كانت هذه هى المرة الأولى التى أراك فيها شخصيا .. علما بأننى كنت أرى صورتك صباح كل يوم تتصدر عمودك اليومى فى جريدة المال .. ولاحظت أنها مطابقة للواقع مع اختلاف واضح وهو ابتسامتك العريضة التى تغطى وجهك والتى أدخلت الطمأنينة والأمان علينا جميعا .

رأيت فيك ذلك الرجل الواثق من نفسه ذا الابتسامة العريضة والطبيعية

والصادرة من القلب الصافى الذى ترعاه عناية السماء لما يحمله من مسئولية كبيرة فى تلبية نداء الواجب للدفاع عن الناس الذين يلجئون إليه لتخليصهم من أحكام مغلوطة تكون نتيجتها السجن غير المبرر .

لقد أثلجت صدرى وأدخلت فيه طمأنينة واثقة وإيمانًا صادقًا ، وتيقنت أن حكم النقض سيكون فى صالحنا بإذن الله مشفوعًا بعناية السماء التى لا حدود لها .

ذهبت بخطوات ثابتة نحو منصة المداولة وأنا أرى معظم من كان فى قاعة المحكمة من محامين أو موظفين أو متهمين إما يسلمون عليك أو يرمقونك بنظرات حب واحترام وتقدير ، فزاد يقينى بنجاح مهمتك الصعبة التى ترعاها عناية السماء . دخلت غرفة المداولة لبعض الوقت وخرجت بعد حين وابتسامتك العريضة تغطى وجهك السمح وقمت بمصافحة زوجتى وابنتىَّ وابنى الجالسين فى الصفوف الأولى وطمأنتهم .. ثم جاء دورى لأتلقى الخبر السار بأن عناية السماء قد استجابت لنداء الواجب وسأكون طليقًا خلال ساعة أو ساعتين ، فشكرتك شكرًا جزيلًا وبقيتُ أرمقك بنظرات الحب والتقدير إلى أن غادرت قاعة المحكمة وابتسامتك العريضة الواثقة لم تفارق وجهك الصبوح .

هنا فقط أخبرتنى ابنتى الصغرى بأنك كنت قد خضعت لعملية أخرى فى القلب ـ يوم الجمعة الماضى ٢٦ فبراير ، أى قبل جلسة النقض هذه بأربعة أيام ، فزاد شكرى وتقديرى واحترامى وامتنانى لشخصك الكريم لأنك جئت بنفسك إلى المحكمة متحملًا الأخطار الصحية لتلبى نداء الواجب .

وجال بخاطرى على الفور تفاصيل عمودك ٤/ ١/ ٢٠١٠ «نداء الواجب

وعناية السماء» (والذى سردت فيه كيف أن عناية السماء كانت قد كللت جهودك بالنجاح فى إطلاق سراح موكلك من السجن) وقلت لنفسى إن صاحب الواجب هذا قد جاء بنفسه إلى المحكمة متحملًا الأخطار الصحية ليلبى نداء الواجب ويتأكد من أن موكله المظلوم قد أُطلق سراحه فغمرته عناية السماء برعايتها وخففت من مرضه لتزيد فرحته ورضاه بنجاح مهمته الإنسانية العادلة.

«فلترعك السماء بعنايتها ياصاحب الواجب ، وتعنك لتأدية نداء الواجب مرة ... تلو المرة ... تلو المرة ... بإذنِه تعالى» .

صبحى أبو حمده

*****